نسق الإستدعاء في كتاب الفصوص في الآداب والأشعار والأخبار لصاعد البغدادي (ت٤١٧ هـ)

The Rhetorical Function of Invocation in Al-Fusus fi al-Adab wa al-Ashar wa al-Akhbar by Said al-Baghdadi (d. 417 AH)

أ.م.د. اسراء عبد الرضا عبد الصاحب الغرباوي [١]

Asst. Prof. Esraa Abdul-Ridha Abdul-Sahib Al-Ghurabawi (PhD)

الخُلاصة

إن الظروف القهرية التي مر بها صاعد البغدادي من تغير المكان والزمان تجعله يتخذ طرقاً لتجاوز هذه الظروف، فيكون نتاجه في منحيين (النتاج الظاهر – النتاج المضمر) فيعمد الى اللجوء الى الإستدعاءات من الموروث الماضي سواء كان هذا الإستدعاء لشخصيات دينية او تأريخية او سياسية فيكون استدعاؤه وفق مبدأين (الاستدعاء الجبري/ القهري) عندما يكون واقعاً تحت طائلة التهديد سواء كان تهديداً جسدياً ام مادياً او (استدعاء عفوي/ اختياري) فيكون استدعاؤه في نتاجه من تلقاء نفسه.

من ناحية الإستدعاءات التأريخية التي عمد صاعد الى استقطابها، فقد كان يباشر بالاسم والغاية منها هو الوصول او التقرب من السلطة ونيل المكاسب.

١- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي- مركز البحوث النفسية Email: drasraa9@gmail.com

كانت هنالك إشارات الى نمطين من الإستدعاءات (الديني – التأريخي) من ناحية الإستدعاء الديني، فقد عزف صاعد على وتر الخليفة كون جذوره عربية، إذن هنالك مشتركات بينه وبين الخليفة مما سهل الطريق عليه في نيل قلبه.

الكلمات المفتاحية: الاستدعاء، صاعد البغدادي، الموروث، الاستدعاء الديني، الاستدعاء التاريخي

Abstract

The oppressive circumstances that Sa'ed al-Baghdadi is going through have changed of place and time make him take ways to overcome these circumstances, so his production is in two directions (the apparent production - the implicit production), so he resorts to summonings from the past heritage, whether this summoning is of religious, historical or political figures, so his summoning is according to two principles. (Forcible/coercive summons) when he is under threat either It was a physical or material threat or a (spontaneous/voluntary summons), so he was summoned on his own initiative.

In terms of the historical summons that Saed sought to attract, he was initiated by name and the purpose of these summons was to reach closeness to the authority and gain gains. There were references to two types of summons (religious and historical). In terms of religious summons, Sa'id played the string of the Caliph because his roots were Arab. So, there are commonalities between him and the Caliph, which made it easier for him to win the heart of the Caliph

Keywords: Invocation, Said al-Baghdadi, heritage, religious invocation, historical invocation

المقدمة

لعل نسق الاستدعاء هو الأكثر تداولا عند العرب، مما يجعل الاديب ان يميل لنسق الاستدعاء أما خوفا من السلطة أو لغرض فني، أو لاصطياد المتلقي وجعله مهيئا لاستقبال العمل الإبداعي..

ولعل الظروف القهرية التي مر بها صاعد البغدادي من تغير المكان والزمان جعلته يتخذ طرقاً لتجاوز هذه الظروف، فيكون نتاجه في منحيين (النتاج الظاهر – النتاج المضمر) فيعمد الى اللجوء الى الإستدعاءات من الموروث الماضي سواء كان هذا الإستدعاء لشخصيات دينية او تأريخية او سياسية فيكون استدعاؤه وفق مبدأين (الاستدعاء الجبري/ القهري) عندما يكون واقعاً تحت طائلة التهديد سواء كان تهديداً جسدياً ام مادياً او (استدعاء عفوي/ اختياري) فيكون استدعاؤه في نتاجه من تلقاء نفسه.

من ناحية الإستدعاءات التأريخية التي عمد صاعد الى استقطابها، فقد كان يباشر بالاسم والغاية منها هو الوصول او التقرب من السلطة ونيل المكاسب.

ففي هذا البحث سوف نعرج على نسق الاستدعاء الذي جاء به صاعد البغدادي في آدابه واشعاره اخباره، ونستعرض ابرز النصوص التي اوردها صاعد في فصوصه لتتضح لنا طبيعة استدعائه للشخصيات

العربية من الخزين الثقافي لديه سواءً كانت شخصيات تأريخيه ام دينية وتحقيق الهدف الذي من اجله تم استحضارها.

وهنالك كثير من الإستدعاءات التي عمد صاعد على توظيفها في فصوصه بل ان كتابه مبني على جمع الاخبار والأشعار وابرز في مقدرته على التفاسير للآيات القرآنية فقام باستدعاء شخصيات دينية وتأريخيه وكذلك محاورة الحيوانات التي ألبسها ثوب الانسنة وجعلها ناطقة بلغته فقد عزف صاعد على وتر الخليفة كون جذوره عربية، لان هنالك مشتركات بينه وبين الخليفة مما سهل الطريق عليه في نيل قلبه.وسنقصر البحث على نمطين من الإستدعاء:

الإستدعاء الديني

الإستدعاء التاريخي

فضلا عن المدخل والخاتمة التي تعبر عن خلاصة ما تضمنه البحث

نسق الإستدعاء

مدخل:

عندما يتغير المكان والزمان على الاديب/ الشاعر نتيجةً لظروف قهرية كأن تكون هروباً من غزو كما هو الحال مع ابي العلاء صاعد البغدادي ، او ظروف طبيعية كما هو الحال مع ابي علي القالي (ت ٣٥٦ هـ)، فالمتغيرات تستدعي الاديب على اتخاذ طرق تساعده على تجاوز هذه المتغيرات، وان هذه المتغيرات تكونت نتيجة التعامل مع أبناء جنسه المختلفين عنه ثقافياً و اقتصادياً و اجتماعياً ومتمايزين معرفياً وقد يولد ذلك لدى الأديب نتاجاً خاصاً يكون ذا حدين:

أ- النتاج الظاهر:وهذا النتاج يكون واضحاً ليس فيه من الغموض او الإيهام ولا يحتاج الى تأويل فيكون ظاهراً امام بني جنسه

ب- المضمراو المستتر:وهذا النتاج الذي يكون مخفياً تحت طيات النصوص والذي يحتاج الى من يقوم بتأويله، ويكون مشابهاً الى مستودع التخزين،وهذا المستودع خاص بالأفكار والابداع والآراء.

نرى الاديب تارة يعمد الى ان يصور ظاهرة دون الحاجة للجوء الى الباطن حتى يعطي صورة واضحة المعالم عن نفسه ونتاجه ، وهذا ما اطلق عليه الفلاسفة القدماء اسم "النفس الناطقة" وعرفوها بأنها"**الجوهر المجرد عن المادة في ذواتها مقارنة لها في افعالها**" [٢]. ،وتارة اخرى يستخدم المضمرات من النصوص ،

٢ – التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، مكتبة لبنان للنشر،بيروت – لبنان، د. ط، ١٩٨٥م: ٢٦٣.

ويتقنع بها اما خوفاً من سلطة او تعرضه لخطر خارجي، فهذه المستورات التي تقبع خلف النصوص تحتمل لأكثر من تفسير وتأويل.

لذا فإن المتغيرات الحياتية وتعدد ألوانها وما يندرج تحت طياتها تنعكس على النتاج الادبي، فهي تجبر الاديب/ الشاعر على الإنصياع لها وكما أشار الدكتور حسين القاصد "يقنن العرب حياتهم وفق نسق سائد، وهذا النسق يشيع بين الناس فيصبح أشبه بالحجة الساندة او الدليل المعزز للقول(...) ولابد من سياحة تأريخية لنشأة هذه القوالب المقننة للحياة"[٣].

ففي هذا البحث سوف نعرج على نسق الاستدعاء الذي جاء به صاعد البغدادي في آدابه واشعاره اخباره، وسنعرج على ابرز النصوص التي اوردها صاعد في فصوصه لتتضح لنا طبيعة استدعائه للشخصيات العربية من الخزين الثقافي لديه سواءً كانت شخصيات تأريخيه ام دينية وتحقيق الهدف الذي من اجله تم استحضارها.

ان حاجة الاديب الى استخدامه لنسق الاستدعاء من الموروث القديم سواء كان دينياً او تأريخياً او سياسياً او اجتماعياً كان ذا بعدين :

أ- الاستدعاء الاختياري/ العفوي: فهذا الاستدعاء تكون صناعته من الاديب صناعة طوعية بدون مؤثرات خارجية على نتاج الاديب او دون ضغط فهو وسيلة الاديب الى الوصول لغاية مبتغاة، ويكون هذا الاستدعاء متزامناً مع الطبيعة النفسية للأديب.

الاستدعاء القهري/ الإجباري: فهنا يكون الإستدعاء صناعة عبرطائلة التهديد اي بمعنى تعرض الاديب و نتاجه الى سوء مسه سواء كان جسدياَ او مالياً او ثقافياً.

إن معظم الآليات التي استخدمها صاعد للإستدعاء هي آلية إستدعاء الشخصيات التاريخية المباشرة بالاسم فقد كانت تعبرمرة عن عربيته وتارة عن وطنه وما دارت عليها من أحداث وكان الهدف من الإستدعاءات الوصول الى السلطة واغراء الخليفة وإشادته بنفسه لما يحمله من ذاكرة قوية للحفظ ومنهجية العرض للأخبار والشعر.

وقد اورد صاعد خبراً وقال: "وانشدني الأصمعي (ت ٢١٦ هـ) لعُبيدٍ في سليمان بنِ سَعِيد زَبرٍ:

أَيَـــا ابْنَ سَعِيد زَبْرٍ بَادَ لَحْمِـــــي ... وَقَـــدْ أَوْدَى حِـــذَارُكَ بِالْفُـــــؤَادِ

وَمِـتُ هَرِيئَةً وَهَلَكْـتُ جُـوعـــاً ... وَحَرَقَ مَعِدَتِـــي شَـوْكُ الْقَتَـــادِ

فَأَمْسَـــى الذَيـــبُ يَرْقُبُنِي مِخَشاً ... لِخِفـــةِ ضَرْبَتِـي وَ ضَعِيـــفِ آدِي

وَضَبْـــعٌ أُمُ أَرْبَعَـــةٍ وَنِـمْـــــرٌ ... طَوِيـــلُ الْبَـاعِ ذُو نَـاتٍ حِـــدَادِ

٣ – النقد الثقافي– رؤية جديدة، حسين القاصد، مؤسسة الصادق الثقافية، بابل– العراق، ط١،٢٠٢١م: ٨٢،٢٦٣.

أَتَتْرُكُهُــنَ يَا ابْــنَ سَعِيــدِ زَبْــــرٍ وَلَحْمــِي لَيــْسَ ذَاكَ مِنَ السَــدَادِ
وَلَــمْ أَظْلِــمْ وَلَــمْ أَقْطَــعْ طَرِيقــاً وَتَسْمَــعُ بِــي أَقَاوِيــلَ الْأَعَــادِي
فَلَــوْ كُنْــتُ الْأَمِــيرَ وَكُنْتَ مِثْلِي طَرِيــداً مَا طَرَدْتُــكَ فِــي الْبِــلاَدِ
أَجِرْنِــي لاَ يَــزَلْ لَكَ مِــنْ ثَنَــاءٍ ثَنَــــاءٌ مِثْــلُ سَابِقَــةِ الْعِهَــادِ
فَمَــا لَيــثٌ بِأَجْــرَى مِنــْكَ عَــادٍ وَلاَ أَسَــدٌ مِــنَ الْأَجَمَــاتِ غَــادِي" (٤)

في هذا الخبر دلالات ظاهرة واخرى مضمرة فأما الظاهر منها انه الأصمعي انشد لعبيد كان يتوسل بابن سعيد فكان يخبره عن ضعف بدنه ، وان لحمه قد ذاب وان حذرك مني وعدم التكرم علي قد اذاب لحمي واراد اخباره انه كان مثل الملبس الذي يتغطى به فإن لم ترني وتصفح عني فأني هالك لا محالة فيخبره بموته من شدة البرودة، وهالك من الجوع، وكنت انت سبيل عيشي وطعامي فبدنوك احترقت معدتي من شوك الصحراء النبات الذي تعجز حتى الحيوانات عن أكله وأصبحت بحالة يُزرى لها وضربتي غير موجعة، فكأن الذئب يراقبني لينهشني، وكانت يدي ضعيفة ولا املك حيلة للخلاص منه، واصبحت الحيوانات تتكالب علي الضباع والنمر صاحب الاسنان الطويلة كأنهن حديد في بروزهن فمال الى ابن سعيد يتوسم به (أتتركهن) وانت تعلم ان لحمي لا يسد رمقهن وجوعهن وانت تعلم ان لا لجريمة ارتكبتها (لم اظلم) و(لم اقطع طريقاً) وانت تسمع اقوال الاعداء الذين كانوا يتصيدون بي فلو كنت انا الامير وكنت في موقفي وكانت الاعداء تترصد بك ما طردتك من البلاد على الرغم ما تفعل بي اني لم انسَ كرمك وعطفك علي, واني اكن لك الثناء الذي لم يثنِ علي اي سابق فلا يوجد من هو اقوى منك جرأة ولا اسد في الغابات قادم.

المضمر في النص ان عطف المنصور على صاعد بعد تعرضه للهجوم من قبل حاشية المنصور، وبدأ الاستجواب واصبح المنصور مشككاً بصاعد، فهنالك تطابق في الخبر مع واقع صاعد فكان بناء هذا الخطاب على وفق نسق ذهني اراد توعية المنصور به "لا يمكن للخطابات او النص الا على انساق معينة ذهنية أو نسقية، فالنسق شرط ضروري لإخراج فعل الانساق الثقافية الى حيز الوجود"(٥).

ان صاعداً اصبح في دور توضيحي للوضعية إذ جعل رابطاً بين واقعه الذي يعيشه وواقع الشخصية المستدعية، فكان يهرب الى الماضي ويستدعي شخصيات متوافقة مع واقعه بسبب الحاجة

٤ – الفصوص, صاعد البغدادي، تح: عبد الوهاب التازي سعود، مطبعة فضالة– المحمدية، المغرب، د. ط، ج٣: ٢٥٥ – ٢٥٦.

٥ – لسانيات الخطاب وانساق الثقافة، د. عبد الفتاح احمد يوسف، منشورات الاختلاف،الجزائر العاصمة– الجزائر، ط١، ٢٠١٠م. :١٥٣.

الشديدة لإقناع المنصور، وأصبح يعوض عما يعانيه في الواقع المعيشي "ان الاضطرار الثقافي و الاحتياج الاجتماعي يجعل المعنى متغيراً حسب سياق تواجده ولا يستوجب ان تبقى الفكرة حبيسة لمعنى واحد"[٦].

ومثله صاعد يستنجد بالمنصور، وقد امسى يبين موقفه امام المنصور (ضعف الحال) و(تعرضه للمطاردة من قبل الاعداء) و (الاصغاء من قبل المنصور الى الاعداء) و (عدم اقتراف صاعد جناية) على الرغم من هذه المواصفات بدأ يقر بأنه لم ينكر الكرم و الاحتضان، وان العمل الوحيد الذي حنيت له هو الثناء لخدمتك.

وهنالك كثير من الإستدعاءات التي عمد صاعد على توظيفها في فصوصه بل ان كتابه مبني على جمع الاخبار والأشعار وابرز في مقدرته على التفاسير للآيات القرآنية فقام باستدعاء شخصيات دينية وتأريخيه وكذلك محاورة الحيوانات التي ألبسها ثوب الانسنة وجعلها ناطقة بلغته و يمكننا الإشارة الى نمطين من الإستدعاء:

١– الإستدعاء الديني :

ان الدين هو رافد رئيس من روافد بناء الحياة الاجتماعية وبالخصوص ما تمثله في بناء المجتمعات المشرقية العربية وله دور اساس في بنائها سواء كان هذا الدور على مستوى البعد الروحي ، وهذا يكمن في تكوين العلاقة بين الفرد وربه من ناحية، او البعد المادي او المعنوي ويكون ضمن علاقة الفرد مع المجتمع الذي ينتمي اليه من ناحية اخرى ، وان هذا الفرد هو من يتحكم بدينه ومعتقده ويفسره وفق هواه وحسب حاجته تارة يميل الى جانب قريب منه يحقق له رغبته وتارة اخرى يعطي تفسيرات ويشذب لها معاني تناسب حاجته ورغبته وهذا ما "اكدت عليه نترو ولوجيا الاديان ان المعتقد الديني هو من بين اكثر مكونات الثقافة تمظهراً في حياة الكائن الانساني واقدرها على فعل الهيمنة والتأثير" [٧].

فالدين بحد ذاته يمثل الركيزة الأساس المكونة للوعي الاجتماعي منذ خلق الإنسان حتى يومنا هذا وبه تزداد المجتمعات تماسكاً وصلابة ويعزز على تجاوز المصاعب والتحديات التي تواجهها المجتمعات ، ويمكننا القول إنه نظام او نسق يضم بين طياته مجموعة من العقائد والاعمال يدين بها كل مجتمع من المجتمعات وهنالك تفاوت بين الناس بالاعتقاد والميول الديني "قد يختلف الناس في الدين الذي يمثل عمقا ما في حركة الحياة فهنالك من يحسب وجوده داخل المعبد، ويشير اليه بخوره الروحي في افاق المطلق ، وهنالك من يجعل

٦ – المعنى التداولي و الانساق الثقافية للخطاب، د. حسين علي جبار القاصد، د.،الجامعة المستنصرية، مجلة كلية التربية، العدد ٤، ٢٠١٧م:٧٥.

٧ – مقالات فكر اسلامي في الحاجة الى الاصلاح الديني، الطيب بو عزة، ٢٠٠٧/٦/١٩.

المعبد مطهراً يعيش الإنسان من خلاله؛ ليسري في الحياة، من أجل ان يتحمل مسؤوليته عن الحياة بكل تحدياتها ومفرداتها وصداماتها من خلال حركة الدين في الحياة" [٨].

لقد عزف صاعد على وتر الدين حتى يصل الى قلب الخليفة، لأن الخليفة كان عربي الهوية من جهة الاب و الام إذ كان والده من أهل الدين والزهد، وكذلك ابتعاده عن السياسة، وكرس حياته للعلم والعبادة ولقد كان "المنصور ابو عامر محمد بن ابي عامر معافري النسب من حمير، وأمه تميمية وهي بريهة بنت يحي بن زكريا التميمي المعروف بابن برطال"[٩].

ان القيم الانسانية والمبادئ العربية الاسلامية التي عرف بها كلٌ من صاعد والمنصور كانت مشتركة ، فعمد صاعد الى توظيف نصوصه من أشعار و أخبار العرب، وكانت هذه الطريقة السهلة لسلوكه لمخاطبة المنصور والتعويل على مبدأ الهوية العربية التي كانت الرابط بينهما لينال الحظوة لدى الخليفة وينال فصوصه المرتبة الرفيعة بين منافسيه ، فمن ناحية الخطابات التي يأتي بها الأديب تكون في الاغلب مضمنة بمختارات متعددة وكثيرة، فوجب عليه ان يحدد الهدف المراد ومراعاة ثقافة المتلقي حتى يتمكن من استدراجه للقراءة ولا يكن له اي امتعاض لينال مراده وتحقيق النجاح.

ان صاعداً افتتح فصوصه بتفسير آي من القران الكريم و انتهائه بحديث نبوي شريف، لقد إستدعى صاعد الشخصيات الإسلامية ابتداء من شخص الرسول الاكرم، وانه استطاع ان يعمق تجربته الأدبية من خلال استدعائه للشخصيات في أشعاره و أخباره من الموروث القديم وتعامل مع هذه الرموز وقام بتوظيفها في كتابه خدمة لأفكاره و معتقدات، وسعى الى إيصال صوته الى المنصور وكذلك تحمسه للمناظرة مع خصومه/ حاشية المنصور اثباتاً لبراعته وتفوقه على خصيمه استاذهم القالي.

ان صاعداً استطاع من خلال استدعائه للشخصيات التأريخية و الدينية ان يثبت قدرته الكبيرة وسعه ثقافته حين تعامل مع النصوص وطرق توظيفها للوصول الى مناله "هنالك مجموعة من العوامل الثقافية و الفنية و الاجتماعية وراء شيوع ظاهرة الاستدعاء للشخصيات التراثية في شعرنا العربي (...) هذه العوامل ذاتها تتبادل فيما بينها للتأثير والتأثر بحيث يقوي عامل معين تأثير عامل آخر او يضعفه"[١٠].

---

٨ – الحركة الاسلامية مالها وما عليها، محمد حسين فضل الله، دار الملاك، بيروت – لبنان، ط١: ٣٨٧.

٩ – الحلة السيراء لابن الآبار، ابو عبد الله محمد القضاعي – ابن الابار، تح: حسين مؤنس، دار المعارف للنشر، القاهرة – مصر، ط١: ٢٥٧. بغية الملتمس في تأريخ رجال الاندلس، الضبي احمد بن عميرة، تح: ابراهيم الابياري، دار الكتاب المصري, القاهرة – مصر، ط١،ج١: ١٥٣.

١٠ – استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري زايد، دار الفكر العربي، القاهرة – مصر، د.ط:١٥.

لقد استدعى صاعد شخصية النبي محمد(صلى الله عليه واله وسلم) في عدة نصوص وكان يتكئ على هذه الشخصية بما تملكه من قيم عربية أصيلة إذ أورد: "**قال العتبي: وقف اعرابي بإزاء قبر النبي ﷺ فقال: بأبي انت وأمي من نبي خُتِمت بِكَ الدنيا, وَ فُتِحَت بِكَ الاخرة**"(١١).

لقد كانت أدوات صاعد رهفه في اختياراته و استدعائه لشخصية النبي الاكرم كونه السمة الأكثر بروزاً في العدل والإحسان والحكم وماله من صفات عكست على ثقافة المجتمع العربي الأَصيل "فالدين عادة ،يؤكد لنفسه سلطان التصرف في كل شؤون الانسان وذلك حين يؤكد صدوره عن الوحي و الارادة الالهية"(١٢).

وان صاعداً كان في استدعائه للشخصيات سواءً كانت هذه الشخصيات من الموروث القديم ام شخصيات كانت في عصره متنوعاً ما بين مصادر تأريخية و أدبية و دينية ، وكان لها الأثر الكبير في تعميق التجربة أمام المنصور.

وكذلك اورد: "**روي عن الحسن البصري انه قال: قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عمرو: كيف بك اذا بقيت في حُفَالةٍ من الناس قد مرجَت عهودهم وأماناتهم, وصاروا كذا, وشبك بين أصابعه. قال: فما تأمرني يا رسول الله؟ قال: عليك بخاصة نفسك, ودع عنك عوامهم. قال الحسن: فو الله لو لم يسأله لقلنا ليته سأله, فسأله فخرج والله بسيفن يخطر بين الصفين**"(١٣).

في هذا الخبر الذي إستدعاه صاعد ملامح محددة ومعروفة لشخص النبي ﷺ التي ميزت شخصيته بين أبناء المجتمع اذ كان رمزاً وقدوة لهم في افعالهم وحركاتهم وان شخص النبي الاكرم كان يقوم بدور الراعي والموجه والناصح الذي يقوم بتوضيح الوضعية الحياتية للمجتمع باطيافه و قومياته كافة ، اي عمل على تنظيم الواقع الحياتي والمؤسساتي للدولة.

في هذا النص دلالتان ظاهرة ومضمرة، فالدلالة الظاهرة التوجيه الرسالي من النبي الى عبد الله ابن عمرو وفيها رسالة تحذيرية، الخبر؛ فكيف يكون حالك لو أصبحت في مجتمع ضاعت فيه المواثيق واختلطت الامانات وبنفس وقت السؤال كان المترقبون ينظرون لعبد الله بن عمرو ليخبره النبي عن الحل , فجاء السؤال المتبادر الى ذهن العامة على لسان عبد الله وكان الرد من النبي لحل هذه المعضلة فأخبره بالابتداء بخواص نفسك اي اهلك و ارحامك و اترك عوام الناس، فكانوا قد اقسموا بالله لو لم يسأله وتهرب لبادرنا نحن ، فكانت النصيحة لبعد الله بن عمر من المنظور الفردي اما تطبيقها فكانت الرسالة موجهه الى المنظور الجمعي للناس وحتى شمل شخص النبي بهذا النص في مواجهة التحديات والصعاب.

---

١١ – الفصوص،صاعد البغدادي مصدر سابق،ج٤: ٢٠.

١٢ – حياتي في الشعر، صلاح عبد الصبور، دار العودة للنشر، بيروت – لبنان،ط٢: ١١١.

١٣ – الفصوص،صاعد البغدادي مصدر سابق، ج٢: ٩٨-٩٩.

اما المضمر من النص ففيه تحريك لذهن المتلقي/ المنصور بأن لا يستمع الى كل ما يقال له اي اراد بذلك قوله اني اقرب اليك من غيري, فإنك عربي وانا عربي، فالرسالة تحفيز لوجدان المنصور على الاهتمام بمن يمتون بصله اليه، لقد كانت وصايا النبي واجبة ليست على الناس فقط بل بدأ بها من اهل بيته وخاصته، لأنها تمثل حكماً شرعياً منزلاً من قبل الله تبارك وتعالى واجبة التنفيذ.

وقد اورد صاعد خبراً : **"حدثني ابو يعقوب الاهوازي الضرير بواسط قال: أخبرنا علي بن سليمان الأخفش (...) أن الحسن بن علي أراد أن يكتبَ الى معاوية كتاباً يستمنحه فيه, فغلبته عيناه, فرأى في النوم النبي (صلى الله عليه واله وسلم) يقول له: أتكتب إلى مخلوق تسأله حاجتك وتدع أن تسأل ربك؟ قال: فما أصنع يا رسول الله ؟ قال: قل: اللهم إني أسألك في كل أمر ضعفت عنه حيلتي, ولم تنته إليه رغبتي, ولم يخطر ببالي, ولم تبلغه آمالي, ولم يجر على لساني, أن تعطيني من اليقين مالم تعطه أحداً من العالمين, انك على كل شيء قدير. فلم يلبث بعد ذلك إلا قليلاً, حتى بعث إليه معاوية بمائةٍ وخمسين ألف درهمٍ"**(١٤).

في هذا الخبر استدعى صاعد شخصيتين متضادتين الحسن بن علي عليه السلام و معاوية بن ابي سفيان، فكان معاوية الخليفة والحسن بن علي من أهل بيت النبوة حفيد الرسول، كان المضمون الظاهري للخبر بين من هو مالك لزمام الخلافة على الناس وممثل للسلطة العليا في البلاد والتصرف بأعمالهم(معاوية) ، وبين الحسن بن علي من ال هاشم الذي يمثل السلطة الدينية الذي لم يبادر بالطلب فبمجرد أنْ دارت الفكرة في ذهن الحسن بن علي طلب المعونة كان توجيه النبي بالنفي القطعي والتأييد الالهي، لا تطلب المعونة الا من الله فهو الذي يغنيك عن الناس فعمد صاعد الى نسق المخاتلة لتعزيز و ارضاء ما يذهب اليه المنصور، أما المضمر فقد سعى صاعد الى اسلوب اشغال ذهن المنصور عن طريق التوجيه الديني ليحنن قلب الخليفة والقاء عليه ما كان قريباً من مخيلته وبالخصوص كونه خليفة على الناس ، وكان صاعد يسعى لنيل المكاسب منه.

١٤ – الفصوص،صاعد البغدادي،مصدر سابق ج٣: ١٠٥-١٠٦.

وقد إستدعى ايضا في فصوصه خبراً "عن ابن عباس المؤذن قال:

إنَ أبـــنَ عَبَاس الصَـغِيرَ الَذِي ... أَلْحَانُـهُ مِثْـلُ الْمَسَامِيـرِ

لَيْـسَ, يـنَادِينَـا إلَـى رَبَنَـا ... إلاَ بِـألْحَـانِ النَوَافِـيـرِ

إنَكَ لَـوْ أَصْغَيْتَ يَوْمـاً إلـَى ... أَلْحَانِـهِ تِلْـكَ الْمَقَـادِيـرِ

لَخِلْـتَ فِي الْخَلْقِ امْرَءاً جـالِسـاً ... يَعْـرِكُ آذَانَ السَنَـانِيـرِ"[١٥].

لقد استدعى صاعد شخصية المؤذن في فصوصه بأكثر من خبر وشعر، لأن بغية توظيفه في بنية النص بما يحمله من دلالات و اشارات تنمي القدرة الإيحائية للقصيدة ، وانها محمولة بدلالات فكرية وعاطفية وهي ثقافة متوارثة في المجتمعات الإسلامية ولا تخفى على المتلقي/ المنصور، وهي حاضرة في ذهنه و وجدانه ولها إيحاءات عاطفية و دلالية، تفرض على المنصور نوعاً من التماهي ولها حضورها في الذاكرة الجمعية[١٦]، ولها تأثيرها القوي وقد عكف صاعد على المورث الديني واستمد من مصادره المختلفة عناصر و معطيات متنوعة سعت في زخر ابداعه

لقد اشار الى صوت المؤذن وماله من وقع في اذن السامع فكان صوته ملحناً مثل نعومة صوت طرق المسامير، وان بندائه الى الصلاة مثل الإستماع الى صوت النوافير الذي يسترخي الانسان لسماعه ومن شدة جمال صوته كأنه يستخرجه بمقادير متساوية لو امعنت السمع اليه في قابل الايام لوجدتها بمقادير متساوية من الجمال والإيقاع الموسيقي ، وكأنك تشعر بأن امرأ قد جلس في حلقه وبدأ يخرج الحروف والنوتات، وهنا ابلغ التوصيف والدقة في الإشارة الى صوته ونعومته وجماله.

ولم يقصر صاعد الإستدعاء على الشخصيات الانسانية ، فقد كان يستعمل الحيلة والدهاء الذي كان يمتلكه لا يصال الخبر الى المنصورإذ كانت الأخبار مبطنة تحمل في طياتها الكثير من التأويلات ، وقد إستدعى الحيوانات وجعلها بصفات انسانية او اخذ من صفات الحيوان تمثلا للإنسان كمكر الذئب ، وشجاعة الاسد ، ونظر النسر، بل حتى المحاورات بين الحيوانات ، فقد رصدها وبث فيها صفة الحديث الإنسان مع الآخر.

وقد أورد صاعد خبراً عن ابي عبيدة في شرح كلمة الارجل يقول: "الأرجل من الخيل: الذي يكون البياض بإحدى رجليه ، قال المرقش:

---

١٥ – الفصوص،صاعد البغدادي،مصدر سابق ج٤: ٢٥٧.

١٦ – مفهوم الذّاكرة الجّمعيّة كما يراه عالم الاجتماع الفرنسي موريس هالبواكس (هو نظرية تعتبر أن عملية التذكر الفردية لا يمكن أن تنشأ إلا ضمن إطار اجتماعي معين، ويربط الذّاكرة الجّمعيّة والذكريات الشخصية للفرد بالمجتمع الذي ينتمي إليه)، الذاكرة الجمعية ومفهوم التراث الحيوي، محمد السموري،مجلة الثقافة الشعبية،سوريا، العدد ١٤،٢٠١١: ٢.

أَسِيلٌ نَبِيلٌ لَيْسَ فِيهِ مَعَابَـةٌ كُمَيْتٌ كَلَوْنِ الصَرْفِ أَرْجَل أَقْرَحُ

وقُتل الحسين"[١٧] رحمه الله على فرسٍ أرجَل، فالشيعة تتشاءم بركوبه، ويقال أَرجَلت الفصيل إرجالا: تركته مع امه يرضعها متى شاء." [١٨].

لقد إستدعى صاعد في هذا الخبر شخصية دينية ثائرة الا وهي شخصية الإمام الحسين عليه السلام فبدأ بسرد الخبر عن الارجل، وهذه الطريقة التي اعتمدها في فصوصه في التدرج في نقل الفكرة فيبدأ بمقدمات، الهدف منها التمهيد للوصول الى الفكرة الرئيسة ، فعند ذكر ارجل الخيل تناقل ما في خزين العرب من الذاكرة الخيول الأعوجية[١٩], التي قامت بسحق صدر الحسين بن علي عليه السلام بعد قتله ويشير الى ذكر صفات الحسين **(اسيل – نبيل)** ليس فيه من العيوب شيء نسباً وديناً خَلقاً، و خُلقاً فقد اتكأ صاعد على شخصية الحسين عليه السلام لكي يشير الى الازدواجية الدينية بينه وبين المنصور وما كان يعني الحسين لهما فهو رمز ديني له المكانة العالية بين العرب المسلمين ، وقد استدعى هذه الشخصية للاحتياج الشديد، فكانت جسراً ليصل من خلاله الى السلطة ونيل المكاسب.

في هذا النص دلالتان ظاهرة و مضمرة:

فالدلالة الظاهرة: وصنف صاعد شخصية الامام الحسين عليه السلام وقدمها في صورة ادبية واسنادية لشروحه واستدعائه للخبر من الموروث الماضي الى الحاضر، لأن هذه الشخصية حاضرة في الثقافة العربية والخزين المتراكم لدى المنصور.

اما الدلالة المضمرة: فقد اخذ صاعد ينمي الشخصيات ويستدعيها ليحرك ذهن المنصور والتلاعب في وجدانه ، ان هذه الشخصية في طياتها محمولات ثقافية مضمرة كثيرة منها (الظلم – الانتصار – الفردانية – المواجهة – العدالة) وهي لشخصية شديدة الثراء الثقافي، وهذا ما دعا صاعداً الى استغلالها لإسناد فصوصه ، وقد اكسبت الشخصيات الدينية عمله أصالة وتفرداً واصبحت رافداً من روافد الممكنة لإملاء الفصوص والوصول الى السلطة.

---

١٧ – كان الحسين يكنى أبا عبد الله، وكان شجاعاً سخياً، وكان يشبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا ان الحسن كان اشبه وجهاً بوجه رسول الله. ينظر: انساب الاشراف، البلاذري:٣٥٩. والحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام ، الهاشمي القرشي ابو عبد الله: السبط الشهيد، ابن فاطمة الزهراء عليها السلام الاعلام، خير الدين الزركلي،دار العم للملايين، بيروت – لبنان، ط٧:

١٨ – الفصوص،صاعد البغدادي،مصدر سابق ج٢: ١٢٣.

١٩ – اعوج: اسم فرس كان لبني هلال تنسب اليه الاعوجيات وبنات اعوج. قال ابو عبيدة: كان لكندة فأخذته بنو سليم في بعض ايامهم فصار الى بني هلال وليس في العرب فحل اشهر ولا اكثر نسلا منه. الصحاح، الجوهري، تح: احمد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط٤: ٣٣١.

لربما ان تكون وحدانية الامام الحسين عليه السلام في معسكر الاعداء مشابهةً لوجود صاعد بين حاشية المنصور الذين ارادوا الكيد لصاعد.

ومن ايرادات صاعد لأخبار الخلفاء فقد ازمع على ورود خبر عن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي كان له دوراً بارزاً في تنظيم امور الدولة و الناس والاشراف المباشر على احوالهم المعيشية وحرصه على تفقدهم في الليل والنهار، لأنه كان يمثل سلطتين (السلطة السياسية والدينية) وقد اورد خبراً: "قال ابن الكَلْبِي: ذكر عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه الفقراءَ فقال: إن سعيدَ بنَ عامرِ بنِ حذيم[٢٠] لمِنهُم, فأرسل إليه بألف دينارٍ فأخذها, وقال لامرأته: هل لك أن نضعها في وضع إذا احتجنا اليها وجدناها؟ قالت: نعم فصرها صُرَراً، وكتب عليها: كلوا هنيئاً. فجعل يأتي أهل البيتِ الذي يرى أَنهم فقراء, فيلقيها إليهم, حتى أنفدها. قال: فلما احتاجوا قالت امرأته : لو جئتنا من تلك الدنانير فأنفقناها. فجعل يسوفها، قالت: اراك والله قد فعلت. قال: أجل, لقد فعلت ، وقد بلغني أن فقراء المؤمنين يدعون قبل أغنيائهم بخمسمائة عامٍ ، وما أُحب أن لي الدنيا وما عليها، وانا في الزمرة الآخرة وقد بلغني أن المرأة من الحور العين لو أشرقت على اهل الدنيا لملأت الدنيا ريح المسكِ، ولأن أدَعَكُن لهُنَ اَحبُ إلِيَ من أَدَعَهُنَ لَكُنَ"[٢١].

في هذا الخبر دلالتان ظاهرة ومضمرة:

فالدلالة الظاهرة من الطبيعي اذا كان الخليفة مسلماً مكلفاً بتولي زمام امور الناس فلا بد له من إعانة الفقراء ونصرة المظلوم والوقوف على احوالهم وإن الخليفة عمر بن الخطاب قد سطر اروع الصور و ابهاها في الزهد ومد يد العون للفقراء وسهر على تفقد احوالهم ، ويعد هذا الخبر شاهداً من شواهد تأريخه المعطاء في نصرة فقراء المؤمنين، فكان يصورهم بأحب الاشياء اليه في الدنيا وكان يشير الى وعيد الاخرة ، فلو اشرقت قبل ان تحط رحالها على الارض امتلأت الدنيا ريح مسك وهو من اطيب انواع الروائح ، وهذا التصور العالي لنيل الاخرة الذي كان على بينة من امره لنيله.

فكان الخليفة عمر مجروح الضمير تجاه رعيته فحرص على ان لا تحصل فجوة بين السلطة والافراد"ولا ريب ان شر ما تبتلى به امة من الامم ان يكون لها ضميران: ضمير لحاكمها وضمير لأفراد شعبها. فهذا الانشقاق في الضمير الاجتماعي يجعل الحكام يظلمون الشعب من حيث يظنون انهم يعدلون ، ويجعل الشعب متمرداً من حيث يظن انه طائعاً" [٢٢].

---

٢٠ – وهو :سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي القرشي، صحابي من الولاة، شهد فتح خيبر، و ولاه عمر إمرة حمص بعد افتتاح الشام.الاعلام،خير الدين الزركلي: ج٣: ٩٧..

٢١ – الفصوص, صاعد البغدادي، مصدر سابق،ج٣: ٢٠٢ – ٢٠٣..

٢٢ – خوارق اللاشعور او اسرار الشخصية الناجحة، د. علي الوردي،دار الوراق للنشر، لندن، ط٢: ٢٢٤.

اما مضمر الخبر فقد عمد صاعد الى ذكر خبر عمر بن الخطاب ﷺ وقضية الوقوف على رعيته من المؤمنين ، فقد عمد الى نسق المخاتلة من خلال استحضاره هذه الشخصية الدينية الممتلئة من فيض العطاء واصبح يتقنع خلفها، وكان الغرض منه التلاعب في وجدان المنصور او لتعزيز الاواصر بينه وبين المنصور وبالمقابل يحصل على مراده وهو الحصول على قيمة التكسب منه، فقد استحضر خبر عمر ودعمه للفقراء قبل الاغنياء ، فكان صاعد متملكاً لزمام المبادرة في فصوصه وشعور المنصور وفطنته العالية كانت سبباً في طلب المعونة و الاحتضان لنيل الوجاهة وتكسب المال.

٢- الإستدعاء التأريخي:

من ناحية الاستدعاء التأريخي فقد ازمع صاعد على استدعاء النصوص من الخزين المعرفي الذي كان لديه واقتبس النصوص من الموروث الماضي من اخبار و اشعار العرب، واثبت من خلال ذلك براعته وقدرته الثقافية على توظيف هذه النصوص ، فكانت غايته الوصول الى المراتب الرفيعة وقد عمل على احياء الموروث التأريخي في فصوصه ، وكذلك احاطته بموروثات اغلب الشعراء و اخبار العرب القدماء بتجربته في تأليف فصوصه لان التراث تميز "بالجدية والرمزية والشمول والخيال الواسع والعاطفة الصادقة والصورة الحية المتحركة ، وهو الى جانب هذا يتمتع بلغة ذات طابع سحري عجيب وقداسة كبيرة"(٢٣).

ألقى من خلال تجربته كل ما يعتمر بداخله من مشاعر ورؤى و افكار، ومن العوامل التي ساعدت صاعداً على استدعاء الشخصيات التأريخية هي الذاكرة القوية التي كان يمتلكها في حفظ الكثير من الكتب والمخطوطات بل و اقل تفاصيل الكتب كان يستنسخها عن ظهر قلب ، وكذلك نشأته في احضان كبار العلماء امثال(ابو الحسن الرماني – الآمدي – ابوالفرج الاصفهاني – التنوخي – ابو عثمان الخالدي...الخ)، وتوليه لخزانة الوزير ابي القاسم عبد العزيز بن يوسف التي ساعدته على الاطلاع الواسع على الكتب المشهورة والنادرة منها بخطوط العلماء بل انه قد قام بحفظ حتى الخطوط وطريقة نقش الكتابة.

وقد فسر صاعد الإستدعاء من الموروث القديم بسبب ارتداده الى أصله وتوثيق العلاقة بين المنصور والموروث العربي بشكل خاص ، فقد كان يستدعى الشخصيات التأريخية لأنه يعرف مدى غنى التراث وثرائه بالإمكانات الفنية والثقافية, وان النماذج التي يأتي بها في فصوصه تمنح الكتاب طاقات تعبيرية كبيرة لا حدود لها، وكان يدرك انه لو استغل هذه النماذج فقد يصل الى تجربة فريدة زاخرة لا ينضب معينها من الايحاء والقدرة الواسعة على التأثير في المتلقي/ المنصور بصورة خاصة والقراء بصور عامة.

---

٢٣ – اثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة– قراءة في المكونات و الاصول، د. كاملي بلحاج، مكتبة لسان العرب دمشق – سوريا، د. ط: ٥٤

فهذه الشخصيات تمنح الفصوص لوناً رتيباً وبريقاً خاصاً من القداسة خصوصاً في قلب المنصور وتمثل نوعاً من الالتصاق بوجدانه، ان اصوات هذه الشخصيات كان لها رنيناً

في وجدان المنصور, وهي بذاكرته منذ نعومة اظفاره ولها في سمعه صدى خاص لا يخطئ في التقاطه، وقد كان صاعد يكسب هذه الشخصيات لوناً من الكلية و الشمولية لربما تتخطى الحاجز الزمني بينها وبين عصره، فتكون متمازجة في اطارها الحاضر مع الماضي في كيان شمولي.

فالأدباء و الشعراء لا ينفكون من مفارقة هذه الاستدعاءات حتى في وقتنا الحالي كما اورد عبد الوهاب البياتي "انني عندما اختار هذه الشخصية او تلك لا توحد معها, إنما احاول ان اعبر عما عبرت هي عنه، وأن أمنحها قدرة على تخطي الزمن التأريخي بإعطائها نوعاً من المعاصرة"(٢٤).

لقد ابدع صاعد في اختياراته للأخبار والاشعار واستدعائه الشخصيات التأريخية، نراه يأخذ بيد القارئ في جولة سياحية حول اخبار ايام الجاهلية والاسلامية والاموية والعباسية ، تعمد التنويع فيها لكي لا يشعر القارئ بالضجر هذا يدل على الامكانية العالية لصاعد فنراه عندما يوظف النص الجاهلي يعتمد على ما يروى له من الرواة الثقات او من الاخبار التي تناقلتها العرب.

يورد صاعد:"يُروى أَن علقمةَ بنَ صفوان بنِ أُمية بنِ حربٍ الكناني, وهو جدُ مروانَ بنِ الحَكَمِ خرج في الجاهلية يُريدُ مالاً له بمكة, وهو على حمار, وعليه إزارٌ ورِداءٌ, ومعه مِقرعةٌ في ليلة إضحيانةٍ"(٢٥)، حتى انتهى على موضعٍ يقال له حائطُ خُرمانَ"(٢٦)، فإذا هو بشقٍ له يدٌ ورجلٌ وعَينٌ, وفي يده سيف ، وهو يقول:

عَلْقَـمُ إنَــي مَقْتُـولْ
وَإن لَحْـمِـي مـأْكُـولْ
أَضْرِبُـهُـمْ بِالْهُذْلـُولْ
ضَـرْبَ غُـلاَمٍ مَشْمُولْ
رَحْـبِ الذَرَاعِ بَهْلُـوْل
فقال علقمة:
يَـا شِـقُ مَالِيَ وَلَـكْ
أُغْمُـدْ عَني مِنْصَـلَكْ

٢٤ – مقابلة اجراها محمد المبارك مع عبد الوهاب البياتي, افلام, السنة السابعة، العدد١١، ١٩٩٥: ٩٦.

٢٥ – اضحيانة: الليلة المضيئة لا غيم فيها "ليلة إضحيانة مضيئة". تهذيب اللغة, ابو المنصور الازهري,ج٥: باب الحاء والضاء.

٢٦ – خرمان: موضع بمكة عند السباب(معجم البلدان ج٢: ٣٦١).

تَقْتُلُ مَنْ لاَ يَقْتُلُكْ

فضرب كل واحد منهما صاحبه , فخرا ميّتين. "[٢٧].

في هذا النص الذي استدعاه صاعد نرى تدرج الخبر منذ الوهلة الاولى وطريقة العرض الدقيقة للتفاصيل (الشخصية – الزمان – المكان)، فقد استدعى شخصية (علقمة) واوضح الزمن الذي عاشت به هذه الشخصية(الجاهلية), سبب الخروج(طلب المال) والمكان (مكة)، والوضع الذي كان يعتريه ولباسه وحمولته ، فقد صورها تصويراً حياً، وكأن الحدث الان هنا.

فقد اصبح صاعد كلي العلم حتى بأدق التفاصيل للخبر، وقد تكون هنالك علاقة محددة بين ايراد النص والاديب, وهذا ما اشارت اليه الدكتورة سيزا قاسم واتفاقها مع اوزبنسكي[٢٨] " عندما نتحدث عن المنظور الايدلوجي لا نعني منظور الكاتب بصفة عامة منفصلا عن عمله، ولكن نعني المنظور الذي يتبناه في صياغة عمل محدد ،فضلا عن هذه الحقيقة يجب ان نذكر ان الكاتب قد يختار ان يتحدث بصوت مخالف لصوته, وقد يغير منظوره- في عمل واحد- اكثر من مرة ، وقد يقيم من خلال اكثر من منظور"[٢٩].

فصاعد قام بدور جوهري في تقديم اخبار دائمية الحضور للتراث العربي في ذهن المتخيل العربي بشكل عام وذاكرة المنصور بشكل خاص وهي حاضرة في وجدانه وكانت هذه الادوات موجودة الوجدان قبل ان يستدعيها صاعد, ولكن من خلال توظيفاته للأخبار والنصوص اصبح لزاماً عليه ان يتجاوز المرحلة التي بدأها ابو علي القالي ، وكانت مهمته ليست تسجيل حوادث تأريخية وانما اراد التعامل مع التراث من خلال المنظور التفسيري والكشف عن الروح المتسترة خلف هذا التراث وانه لم يقتصر على استرقاد التراث الشعري فقط وانما لجأ الى كل مصادر التراث المختلفة فكان الفصوص حافلاً بالإشارات الدينية والتأريخية الى جانب الشعر.

وقد استدعى صاعد جميل بن معمر الملقب (جميل بثينة) قال:"حدثنا ابو علي قال: حدثنا (...) المفضل الضبي قال: كان جميل يختلف إلى بثينة ويتحدث إليها، فقيل لأخيها شَبِيب: اِرتَصدهُ، فإنك ستُصيبه كَامِناً في ذنَابةِ الوادي: حتى إذا ابهَار الليلُ، وعمدَ الحِس، وأمنَ العائنةَ ، أتاها يَسيبُ انسيابَ الأيمِ, فَنَاجاهَا وانصرف. فارتصده شَبيبٌ، فأخذه فأوجعه ضرباً، واراد قتله ،فأفلت جميلٌ فلما حَضَرَ الحَجُ,

---

٢٧ – الفصوص، صاعد البغدادي،مصدر سابق ج١: ١١٣-١١٤.

٢٨ – بوريس اوزبنسكي: عضو جماعة البنائيين الروس و أستاذ اللغويات بجامعة موسكو. وقد ظهر كتابه "نظرية الصياغة: بناء النص الفني ونوعيات الشكل الفني" عام ١٩٧٠ باللغة الروسية بموسكو. بناء الرواية، د.سيزا قاسم، مكتبة الاسرة،القاهرة – مصر، د. ط: ١٨٣..

٢٩ – بناء الرواية،د. سيزا قاسم: ١٩١.

حَج شبيبٌ أخو بثينةَ، فأتى المخبر جميلاً يُخبره أن شبيباً قد حج، فإن تستقيدَ منه فَدونك إياهُ ، فأنشأ جميل يقول:

فَلاَ أَنْسَـــى عَجَائِبَ ذَاتِ نَفْسِي ... بِمَكَّـةَ إِذْ دُعِيـتُ إِلَـى شَبِيبِ
وَقَالُوا يَـا جَمِـيلُ أَتَى أَخُـوهَـا ... فَقُلْـتُ أَتَى الْحَبِيبُ أَخو الْحَبِيبِ
أُحِبُـكَ أَنْ سَكَنْتَ جِبَالَ حِسْمَى ... وَأَنْ نَاسَبْـتَ بَثْنَـةَ مِـنْ قَرِيـبِ"(٣٠)

لقد كان صاعد في استدعائه للشخصيات التأريخية مستنداً على قاعدة صلبة رصينة، وهي ما خزنه في مستودعه المعرفي، واستطاع ان يستغل كل امكانياته لأجل الوصول الى قلب المنصور ووجدانه. وهذه النصوص المتداولة عند العرب لها وقع خاص في حياتهم, وقد صور صاعد شخصية جميل دون ان يحاول ان يضيف عليها دلالات معاصرة ولم يفسرها تفسيراً معاصراً.

إن إستدعاءاته كأنها امتداد لصنيع جميل بثينة، وان هذه القصة قد تبناها الكثير من الادباء والمفكرون قبل صاعد، ولكن الاختلاف كان في طريقة التوظيف والاستدعاء فإن ما ميز صاعداً انه تناولها من جميع ابعادها في خبر واحد لا يستغرق الا بضعة اسطر،

وكأنه اوعز الى نفسه بعدم التبذير اللغوي وما يحمله من طاقات تعبيرية رصينة جعلته محيطاً بها في هذه الابيات القليلة فبمجرد وصولها الى المتلقي تشعره بالإحاطة الكاملة لجميل ومحبوبته بثينة وما آلت اليه قضية حبه لها، ولا يمكن القول ان قصة جميل بثينة انها "فجرت أية طاقة روحية او فكرية في التراث الشعر العربي, وانما هي قد أعادت النص الى هذا التراث في نفوس الناس، ومن ثم فان ارتباطها بالتراث كان ارتباطاً سطحياً او شكلياً، لأنها لم تنبه الضمائر الى هذا التراث من اي منظور تفسيري"(٣١).

نرى صاعداً دائماً يحن الى الاخبار العرب السابقين اذ كانت الاحاسيس بكراً ولم تزل بالتعقيد والتزيين وان اللغة الشعرية لم تزل تمتلك طاقات عالية ولم تفقد قوتها على التأثير في المتلقي، لأنه اراد ان يحقق اصالته العربية، ولا يمكن ان تتحقق الا اذا وقف موقفاً صلباً امام المنصور وحاشيته من طلاب القالي الذين كانوا يكنون له العداوة وتمسكه بتراثه و ارتباطه بماضيه الذي كان مشاركاً معه المنصور، وان صاعداً في استدعاءاته فقد احيا الديباجة العربية لدى المنصور في ازهى نتاجها ورفض البهرج اللفظي الذي كان يمارسه القالي.

ان صاعداً قد اقر بنفسه بقدرته على الجمع والشرح فقال: "قد تقدم في صدر الكتاب الى حيث انتهينا و من ابيات المعاني ما لو أُفرِدَ عَنهُ ، لكان كتاباً في المعاني كبيراً، غير انها متفرقة ، فأحببت ان امتعك منها

٣٠ – الفصوص، صاعد البغدادي،مصدر سابق ج٣: ٢٥٤–٢٥٥.
٣١ – الفصوص، صاعد البغدادي،مصدر سابق ج٣: ٢٥٤–٢٥٥.

بقطعة مجموعة في آخر الكتاب، ليكون طلبُك لها من كَثَبٍ، وابتغاؤك عن أممٍ، وفي الشعر ما يُسأل عن تفسيره، وفيه ما يُسأل عن معناه، وفيه ما يسأل عن إعرابه، جمعتُ لك من كل ذلك نُتَفاً, إذا وعيتَها طال نَفَسُك ،وجلَ خطرُك ،وبعد سمعُك"(٣٢).

ان صاعداً قد أشار في خبره هذا الى استعماله الى فن المراوغة الثقافية في التصنيف والمنهجية التي اعتمدها في فصوصه ، وقد اقر بعدم افراده لتحرير معاني الابيات ، فلو شاء لجعله كتاباً في المعاني كبيراً، هذا يدل على قدرة صاعد في النتاج الادبي وكان يريد بذلك استقطاب ذهن المنصور وليس هدفه أنتاج كتاب معاني يقرأه العامة، فقد ازمع لنيل رضا المنصور واثبات براعته الادبية على الانتاج ، فصرح بقيامه بجمع نتف عن ما كان يسأل عن تفسير للشعر ومعناه وعن الاعراب فكانت الإنطلاقة للنقد الثقافي واضحة بقوله (**إذا وعيتَها طال نَفَسُك**) اذ وجب عليه ان يرى المضمر من النصوص، وهذا صميم عمل النقد الثقافي.

وقد اورد صاعد" قال : **وقوله:**

كَبَرْدِيَـةِ الْغِـيلِ وَسْـطَ الْغَرِيـفِ إِذَا خَالَـطَ المَاءُ مِنْهَـا السُـرُورَا

السرور: واحد وهو باطن البردية وسرها ، وسر الوادي: باطنه. قال: وقد يكون السرور جمع سر. ويروى(السريرا) وهو جوف البردية ايضاً. ويروى (إذا ما علا الماءُ منه السريرا) يعني جمع النبات الذي معها. وقال السرير: النهر, وقال ايضاً: مستنقع الماء. وقيل السرور جمع سر, يريد منتهاه. وحكي عن ابي عبيدة انه قال: (السريرا) أَراد السرِي فحول الياء راء"(٣٣).

قد استدعى صاعد شخصية الأعشى الذي يعد شاعراً فحلاً من شعراء العرب الفحول الذي له ثقله بين الشعراء ،وكانت طريقة صاعد في شرح البيت التركيز على مركزية البيت وهي (السرورا).

وقد ابرز مقدرته اللغوية في إيراد معاني ودلالات السرور، كأنك دخلت الى معجم ومن ثم يقوم بنقلك الى شروح هذه المعاني ثم الى النحو كأنه يأخذك بجولة سياحية حول ايرادات هذا البيت " يلجأ الشاعر/الاديب لمجاورة المعنى بصورة قريبة منه، لكي يتمكن الشاعر من ايصال رسالته الى المرسل اليه من دون مباشرة في البوح، ويحقق بهذا ما يميز بوجه عن الكلام المباشر ويجعله ينماز بالشعرية بحكم وجه الشبه بين الصورتين، احدهما حقيقية والثانية مستدعاة لغاية في نفس الشاعر، وبهذا يحقق غايتين, الاولى تكمن

٣٢ – لفصوص، صاعد البغدادي،مصدر سابق ج٥: ٢٥٤.

٣٣ – الفصوص، صاعد البغدادي،مصدر سابق ج٥: ٤٠.

في ايصال رسالته مغلفة والثانية تفوقه على غيره في الصنعه لتحقيق اقصى غايات الجودة والتميز"[٣٤]. فمن خلال هذه الإستدعاءات للشخصيات سواء كانت دينية او تأريخية حقق صاعد غاية الجودة وتفوقه على القالي بدليل تقريبه للخليفة المنصور بعد عرض نتاجاته عليه.

الخـــاتمة

لقد كان التعويل عند صاعد البغدادي يعتمد على الهوية العربية للإستدعاء، ومن خلال هذه الإستدعاءات بين قدرته وثقافته الواسعة ومقدرته على حفظ الاشعار لا بل حتى رسم خطوط العلماء، فقد إستدعى شخص النبي الاكرم عليه افضل الصلاة وأتم السلام لما لها من مؤثرات على نفس العربي، كانت أدواته في الإستدعاء مرهفة وكانت نصوصه ذات دلالات ظاهرة ومضمرة وفي مضمراتها الكثير من المحمولات التأويلية، فعند توظيفه لوصية النبي في حث الناس على ارحامهم فإن احدى تأويلاتها: ايها الخليفة انظر الي أَنا عربي و أَنت عربي وإني من رحمك.

لقد كان يطابق الشخصيات المستدعاة من الموروث مع الواقع الذي كان يعيشه في بعض النصوص، وقد شبه حاشية المنصور بالذئاب المفترسة التي تريد ان تنهش لحمه وابعاده عن المنصور، فكانت خطاباته على وفق النسق الذهني الذي اراد من خلاله توعية المنصور.

اما الإستدعاء التأريخي: فإن مجمل الإستدعاءات كانت مشرعة بداية بالاسم الصريح وكانت اقتباساً من الموروث الماضي، وكان يريد بذلك ترسيخ الموروث التأريخي في وجدان المنصور،فكانت ذاكرته القوية السبب وراء هذه الصياغة والبناء الرصين للنصوص و استقدامها، وان جل ميله الى النصوص التراثية العربية لان التراث العربي غني بالإمكانات الفنية و الثقافية، وهي بدورها قد منحت الفصوص الطاقات التعبيرية الكبيرة التي لا حدود لها ،وهذه الشخصيات المستدعاة كان لها رنين في وجدان وذاكرة المنصور منذ نعومة اظفاره.

ان مهمة صاعد لإستدعاء الشخصيات التأريخية ليست لتسجيل حوادث تأريخية وانما اراد بذلك التعامل مع التراث من خلال المنظور التفسيري والكشف عن الروح المستترة خلف هذا التراث.

لقد عمد صاعد في فصوصه من خلال إستدعائه للنصوص الى إستعمال المراوغة الثقافية في التصنيف والترتيب وقد كان قادراًعلى افراد فصوصه وجعله كتاباً خاصاً بالمعاني حاله كحال المعجمات، ولكنه لن ينال شيئاً من مراده سوى الترحيل والطرد من مكانة السلطة، ولكنه وبدهائه قال (أحببت ان امتعك منها بقطعة مجموعة في آخر الكتاب ليكون طلبك لها من كثب ،فقد جمعت لك نتفاً من الشعر ما يتم السؤال

٣٤ – النقد الثقافي– رؤية جديدة، د.حسين القاصد، مؤسسة الصادق الثقافية، بابل – العراق، ط١: ٢٥٤.

عن تفسيره وما يسأل عن معناه و إعرابه) وكل هذا تصل اليه اذا وعيتها فإنك تطال نفسك و يجل خاطرك ويبعد سمعك ، فهذا هو صميم النقد الثقافي أي البحث عن المضمر في النصوص حتى تصل مرادك منه.

المصادر والمراجع

١. اثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة- قراءة في المكونات و الاصول, د. كاملي بلحاج, مكتبة لسان العرب , دمشق – سوريا, د. ط
٢. الاعلام, خير الدين الزركلي, دار العم للملايين, بيروت – لبنان, ط٧
٣. استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر, علي عشري زايد, دار الفكر العربي, القاهرة – مصر, د.ط
٤. بغية الملتمس في تأريخ رجال الاندلس, الضبي احمد بن عميرة, تح: ابراهيم الابياري, دار الكتاب المصري, القاهرة مصر, ط١
٥. بناء الرواية, د.سيزا قاسم, مكتبة الاسرة, القاهرة – مصر, د. ط
٦. التعريفات, علي بن محمد الجرجاني, مكتبة لبنان للنشر, بيروت – لبنان, د. ط, ١٩٨٥م
٧. تهذيب اللغة, محمد بن أحمد بن الازهري الهروي أبو منصور (ت٣٧٠هـ) ، تح : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م
٨. الحركة الاسلامية مالها وما عليها , محمد حسين فضل الله , دار الملاك, بيروت – لبنان,ط١
٩. الحلة السيراء لابن الآبار, ابو عبد الله محمد القضاعي – ابن الابار, تح: حسين مؤنس, دار المعارف للنشر, القاهرة – مصر, ط١
١٠. حياتي في الشعر, صلاح عبد الصبور, دار العودة للنشر, بيروت – لبنان , ط٢
١١. خوارق اللاشعور او اسرار الشخصية الناجحة, د. علي الوردي, دار الوراق للنشر, لندن, ط٢
١٢. الشعر العربي المعاصر, د. عز الدين اسماعيل, , دار الفكر العربي, القاهرة – مصر, ط٣
١٣. الصحاح, الجوهري, تح: احمد الغفور العطار, دار العلم للملايين , بيروت – لبنان, ط٤
١٤. الفصوص, صاعد البغدادي,تح:عبد الوهاب التازي سعود, مطبعة فضالة، المحمدية, المغرب, د. ط
١٥. لسانيات الخطاب و انساق الثقافة, د. عبد الفتاح احمد يوسف, منشورات الاختلاف, الجزائر العاصمة- الجزائر, ط١, ٢٠١٠م.
١٦. معجم البلدان ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي(ت٦٢٦هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٥م

١٧. مقالات فكر اسلامي في الحاجة الى الاصلاح الديني, الطيب بو عزة, ٢٠٠٧/٦/١٩
١٨. النقد الثقافي- رؤية جديدة , حسين القاصد, مؤسسة الصادق الثقافية, بابل- العراق, ط١, ٢٠٢١م

الدوريات

١. الذاكرة الجمعية ومفهوم التراث الحيوي, محمد السموري, مجلة الثقافة الشعبية ,سوريا, العدد١٤ ٢٠١١
٢. مقابلة اجراها محمد المبارك مع عبد الوهاب البياتي, افلام, السنة السابعة, العدد١١, ١٩٩٥
٣. المعنى التداولي و الانساق الثقافية للخطاب, د. حسين علي جبار القاصد, , الجامعة المستنصرية, مجلة كلية التربية , العدد ٤, ٢٠١٧م